

# فتح القدير ببيان آيات التخيير

محاضرة للنساء كانت في دار الحديث بدماج ردها الله  
تعالى

لأبي محمد عبد الحميد الزعكري

### مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ

كُتِنَ تُرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعُكُنَّ وَأَسْرَحُكُنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا \*  
وَأِنْ كُتِنَ تُرْدَنَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا  
عَظِيمًا \* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ  
ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ  
صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا \* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ  
مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ  
قَوْلًا مَّعْرُوفًا \* وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ  
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ  
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا \* وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ  
وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا \* إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ  
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ  
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ  
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا \* وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ  
ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿[الأحزاب: ٢٨-٣٦].

هذه آيات بينات، وأدلة واضحة، وحكم وعبرات ذكرها الله عز وجل لنا  
فيما جرى بين نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين أمهات المؤمنين

الطاهرات المطهرات، فإنهنّ لما ألححن وضيعن على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النفقة أمره الله تعالى بتخييرهن، وكانت أول من حُيرت عائشة رضي الله عنها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِيَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاءُؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا، قَالَ: فَقَالَ: لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَّأْتُ عُنْقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «هَنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلُنِي النَّفَقَةَ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عُنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عُنْقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ: تَسْأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ: وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ»، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ

بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي امْرَأَةً مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَتًا، وَلَا مُتَعَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُسِيرًا».

فإنهن لما اخترن الله عز وجل ورسوله والدار الآخرة بشرهن الله تعالى بالخير العظيم والرزق الكريم والحياة السعيدة، وهددهن الله عز وجل وهنّ المصونات فإنهنّ طيبات مطيبات أن من أتت بفاحشة مبينة واضحة جلية أن الله عز وجل سيضاعف لها العذاب ضعفين، وهذه الآيات فيها دروس للنساء المؤمنات :

**منها:** أن المرأة يجب عليها أن تقدم ما من شأنه إرضاء الله عز وجل.

**ومنها:** وجوب السير على ما كان عليه رسوله صلى الله عليه وسلم.

**ومنها:** أن المرأة ينبغي أن تقدم ما من شأنه رفع درجاتها ورفع منزلتها عند الله سبحانه وتعالى، والحذر كل الحذر من الفواحش؛ لأن ضررها عظيم سواء كانت فاحشة الزنا : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]. أو كان غير ذلك من الفواحش المستقبحة المحرمة في كتاب ربنا وفي سنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

**وفي هذه الآيات:** بيان من الله عز وجل أن الإنسان كلما علت منزلته وزاد علمه قد يعرض للوعيد أكثر غيره من الجهال: فإن المسلمين قد تسلط عليهم الجهل في كثير من البلدان فلا يعرفون الحلال من الحرام، فربما رأيت المرأة تمشي كاشفة بوجهها، رافعة لثيابها، سافرة في ذهابها وإيابها والسبب في

ذلك: الجهل بالله سبحانه وتعالى، وقد يقع من الله عز وجل تجاوز على مثل هذه النسوة بسبب الجهل وبسبب البعد على العلم لكن المتعلمة قد يحلقها من الإثم في نفس المعصية أعظم مما يلحق تلك المرأة المذنبة الجاهلة؛ لأن من علم قد أقيمت عليها الحجة وثبتت المحجة تسمع في ليلها ونهارها، وفي بيتها وخارجة النصائح تلو النصائح والتوجيهات تلو التوجيهات؛ ولهذا يقول الله عز وجل: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. ويقول: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

**ومنها:** ما وصى الله عز وجل وأخبر بما أعدّ للقائتات من المسلمات: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، فتقبل على الطاعة من صلاة، وصيام، وقيام، وذكر، وبر، وطاعة لزوجها، وتربية لأبنائها، وإكرام جيرانها، وحفظ لسانها إلى غير ذلك من الطاعات، وتستمر على ذلك فإن القنوت دوام الطاعة والاستمرار عليها تقنت لله وتلازم العمل الصالح، فإن الله عز وجل سيؤتيها أجراً عظيماً، كما أن العذاب يضاعف على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إن ألمن بشيء فإن الله عز وجل قد ضاعف لهن الأجور.

وهكذا طالبات العلم ومن يسمعن المواعظ فيستقمن عليها ويلازمن الأعمال الصالحة يرجى لهن الخير، ويرجى لهن الأجر على طلب العلم، والأجر على طاعة الله، والأجر على المتابعة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأجر على العفة، والأجر على القول الحسن، والأجر على الإحسان إلى الأقارب والجيران والأرحام، والأجر على تربية الأبناء والبنات، وهكذا كم من الأجور التي تلحق المرء الصالح القانت المنيب.

**ومنها:** ما وصى الله عز وجل بما من شأنه زيادة الخير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً ولنساء الأمة عموماً: فقال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فقلوه: ﴿إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ﴾ ﴿حث على التقوى وهي المراقبة لله عز وجل وهي العمل بالكتاب والسنة على نور من الله، والبعد عن المعاصي والسيئات على نور من الله، وسمي المتقي بهذا الاسم؛ لأنه يتقي عذاب الله وسخطه سبحانه وتعالى، فالمرأة إذا أرادت أن تكون ملازمة لهذا الطريق طريق التقوى فلتعمل بما من شأنه أن يكون زيادة للتقوى وزيادة البر والإحسان والخير والصلاح.

**ومن شأن المتقية:** أن لا تخضع بالقول أي: تتمايل في قولها أو في مشيها أو في إجابتها فإن الخضوع في القول مؤداة إلى افتتانها وافتتان غيرها بها وطمع أصحاب القلوب المريضة بها، قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢]، لكن عليها أن تقول القول الطيب والقول الذي لا خضوع فيه ولا تمايل ولا فتنة، وفي هذا بيان أنه لا يحرم كلام النساء مع الرجال مطلقاً، فقد تحتاج ان تتكلم مع من ليس بمحرم، ولكن الذي يحرم هو الخضوع بالقول مما يؤدي إلى فتنها وإلى فتنة غيرها بها .

ومن أسباب ملازمة التقوى: القرار في البيت إلا لحاجة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ والقرار: السكون وعدم الخروج لغير حاجة، وسميت الحياة الأخرى بحياة القرار؛ لأنها لا تحول عنها، فذلك المرأة عليها أن تقرر في البيت وتمكث في البيت ولا تخرج إلا لحاجة، وإذا خرجت لا تخرج متعطرة ولا متماثلة ولا متبرجة ولا شيء من ذلك، فإن ذلك ليس من سمات المسلمين، فقد جاء في الصحيح عن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَصِيرَةٌ تَمْشِي مَعَ امْرَأَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، فَاتَّخَذَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، وَخَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ مُغْلَقٌ مُطْبَقٌ، ثُمَّ حَشَتْهُ مِسْكًَا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيِّبِ، فَمَرَّتْ بَيْنَ الْمَرَأَتَيْنِ، فَلَمْ يَعْرِفُوهَا، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا» وَنَقَضَ شُعْبَةُ يَدَهُ، رواه مسلم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ، فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ كَذَا وَكَذَا» قَالَ قَوْلًا شَدِيدًا، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو في الصحيح المسند.



فهذا فعل الزواني وليس بفعل الحرائر المصونات، والنبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت عن زينب الثقفية قال: «إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ فَلَا تَطَيَّبِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»، وفي رواية: «إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طَبِيبًا»، رواهما مسلم في صحيحه.

فالمرأة مأمورة بالقرار في البيت وعدم الخروج، وإن خرجت تخرج لحاجة مع الآداب الشرعية من غض البصر، وكف الأذى، وأخذ جانب الطريق، والستر في اللباس، وعدم التطيب.

**ومنها: عدم التبرج:** لأنه فعل الجاهلية، ففيه النهي عن التشبه بالكفار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فالتبرج من شأن أهل الجاهلية من شأن الكفار الذين لا يخافون الله ولا يعملون بسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما المسلمة شأنها عظيم ينبغي أن تقر في البيت، وإذا خرجت من البيت أن تلازم ما من شأنه الستر لها والبعد عن فتنها وفتنة غيرها.

**ومنها: إقام الصلاة والمحافظة عليها:** قال تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. مع القرار في البيت ومع عدم الخضوع بالقول ومع إصلاح الظاهر والباطن، ينبغي لها أن تكون متقربة إلى الله عز وجل بالصلاة الركن العظيم الصلاة التي من تركها فقد كفر: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»، وأن تصلي كما صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم، فتتعلم كيف تصلي، وكيف تذكر ربها، وكيف تدعوه، وتحسن الوضوء، والخشوع، والركوع، وتكون طاهرة الثوب والبدن والمكان وتفعل ما من شأنه أن تصلي كما صلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي».

وينبغي لها أن تتقرب إلى الله بأنواع القربات في هذا الباب من صلاة الضحى، والنوافل القبليّة والبعديّة، ومن قيام الليل، ومن صلاة الاستخارة ومن غير ذلك ففي هذا أجر عظيم.

**ومنها:** ما أمرهن الله عز وجل بإتاء الزكاة: قال تعالى: ﴿وَاتَيْنَ الزَّكَاةَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فإن بلغ مالها النصاب تؤدي الزكاة المفروضة، فإن لم يكن لها مال نصاب تتصدق مما لا إفساد فيه من مال زوجها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ، كَانَ لَهَا أَجْرُهَا، وَلَهُ مِثْلُهُ بِمَا اكْتَسَبَ، وَلَهَا بِمَا أَنْفَقَتْ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا»، متفق عليه، تتصدق ولو بالمرق، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ فَأَكْثِرِ الْمَرْقَةَ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»، أخرجه مسلم وتؤتي الجيران الأقرب فالأقرب، فإن لم تجد ما تتصدق به فاتقوا الله ولو بشق تمر، فإن لم تجد فالكلمة الطيبة صدقة، تحسن إلى أخواتها المسلمات بالكلمة الطيبة من غير جرح لمشاعرهن، ومن كلام في أعراضهن ومن غير أذية للمسلمين كما

في الحديث: «يُمَسِّكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُنْ شَرَكٌ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ».

**ومنها:** أن على المرأة أن تطيع الله تعالى ورسوله الله صلى الله عليه وسلم وهذا من الإجمال بعد التفصيل: وأعظم ما يُطاع الله تعالى به التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فالله تعالى هو الذي خلقها ورزقها وأنعم عليها وكساها وهداها وأواها قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، فالطاعات ليست للرجال فقط بل هي مطلوبة من الرجال والنساء قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، لكن قد تجد التقصير عند النساء أكثر فجاءت هذه الآيات البيّنات الواضحات الجليلات في حث النساء على طاعة الله عز وجل وإخلاص العمل له، والمراقبة له في السر والعلن: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ \* إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]، ولتحقيق هذا الباب يجب البعد عما يناقضه من الشريكات، فإن النساء يقع منهم التعلق

بالحروز، والتمايم، وربما الذهاب إلى السحرة والمشعوذين أكثر من الرجال.

**ويدخل في ذلك:** طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته في ما ليس من خصائص الرجال، فيجب أن تطيعه في ما أمر وتنتهي عن ما نهى عنه وزجر وتصدقه فيما أخبر.

**ويدخل فيها:** طاعة الزوج في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن حقه عظيم على ما هو مبين في موطنه.

**ومن ذلك:** الاهتمام بتربية الأبناء على دين الله عز وجل فإن ذلك من الأمانة.

**وتحقيق ما تقدم سبب لطهارة الأنفس وزكاتها وسبب لغفران الذنوب**

**وستر العيوب:** فقد بين الله عز وجل أن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومع القرار في البيت، وملازمة أسباب العفة من ترك التبرج والخضوع في القول فإنه مما يذهب الرجس وهو الشر والخبث، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهذه العبادات الجليلات ليست محصورة على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم، وإنما هي عبادات جليلات يشترك معهن غيرهن فيها.

والذي نستفيده من الآية: أن المرأة التي تريد أن تجتنب الرجز وأن تطهر نفسها وقلبها، وأن تحافظ على ما ذكره الله عز وجل في هذه الآيات البينات الواضحات الجليات.

وصية الله عز وجل بما فيه نفع نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وغيرهن من نساء المسلمين وفيها نفع للرجال:

قال الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، أي: اذكرن القرآن واذكرن السنة، واعملن بالقرآن والسنة، فالحكمة: هي السنة، والعمل بالقرآن والسنة الصحيحة هو غاية الفلاح وسبب السعادة في الدارين وسبب لصالح الظاهر والباطن.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، فمع علم الله عز وجل ببواطننا وظواهرنا وإسرافنا في أمرنا وبتقصيرنا لكنه سبحانه وتعالى لطيف بعباده، فيعاملهم باللطف واللين، هو الذي يسوق عبده إلى الخير، ويعصمه من الشر بطرق خفية لا يشعر بها، ويسوق إليه من الرزق ما لا يدريه، ويريه من الأسباب التي تكرهها النفوس ما يكون ذلك طريقاً له إلى أعلى الدرجات وأرفع المنازل، ومن لطفه أنه يتجاوز عنهم، والله لو يؤاخذنا الله عز وجل بما نعمل وما نعمل نساؤنا ما بقينا، فإننا نتعاطى ذنوب كثيرة نسأل الله السلامة، ونفرط في شأن عظيم لكن الله تعالى لطيف بعباده مع علمه بهم، **فالتخيير**: بمعنى العالم وهو المطلع على بواطن الأمور، فالله عز

وجل مع اطلاعه على بواطن الأمور فمن باب أولى ظواهرها إلا أنه لطيف بعباده رحيم بهم سبحانه وتعالى.

**الوصية الجامعة في هذه الآيات:** ثم قال بعد ذلك مبيناً الأجر العظيم للرجال والنساء ممن يحافظ على ما ذكره الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

**قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:** لما ذكر تعالى ثواب زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وعقابهن، [لو قدر عدم الامتثال]، وأنه ليس مثلهن أحد من النساء، ذكر بقية النساء غيرهن.

ولما كان حكمهن والرجال واحداً، جعل الحكم مشتركاً، فقال: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها. ﴿ **وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله.

﴿ **وَالْقَانِتِينَ** ﴾ أي: المطيعين لله ولرسوله، ﴿ **وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ** ﴾ في مقالهم وفعالهم، ﴿ **وَالصَّادِقَاتِ** ﴾ و ﴿ **وَالصَّابِرِينَ** ﴾ على الشدائد

والمصائب ﴿وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ﴾ في جميع أحوالهم، خصوصًا في عباداتهم، خصوصًا في صلواتهم، ﴿وَالْخَاشِعَاتِ﴾، ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فرضًا ونفلًا، ﴿وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ شمل ذلك، الفرض والنفل، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الزنا ومقدماته، ﴿وَالْحَافِظَاتِ﴾، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: في أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيمة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات ﴿وَالذَّاكِرَاتِ﴾، ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجميلة، والمناقب الجليلة، التي هي، ما بين اعتقادات، وأعمال قلوب، وأعمال جوارح، وأقوال لسان، ونفع متعد وقاصر، وما بين أفعال الخير، وترك الشر، الذي من قام بهن، فقد قام بالدين كله، ظاهره وباطنه، بالإسلام والإيمان والإحسان فجازاهم على عملهم "بِالْمَغْفِرَةِ" لذنوبهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدر قدره، إلا الذي أعطاه، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله أن يجعلنا منهم. انتهى

فكل هذه الأصناف موعودة بالأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى سواء كانوا رجالًا أو نساءً، فعلى المسلم أن يستسلم لله بالتوحيد وينقاد له بالطاعة ويبرأ من الشرك وأهله، وعليه أن يراقب الله عز وجل في أعماله القلبية فيؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وعليه أن يحافظ على الصلاة، والصيام، والقيام، ويلتزم الطاعات ليكون قانتاً لله عز وجل مخبتاً ومنيباً إليه، وعليه أن يصدق الحديث، أن يصدق في قوله ومنقوله: «وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»، صححه الألباني في صحيح أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»، متفق عليه.

فعلى الرجال والنساء أن يلازموا الصدق في القول والصدق في العمل، فكما أن هنالك صدق في القول فهناك صدق في العمل وصدق في القلب، فصدق القلب الإخلاص ولا يقبل الله عز وجل من العبد عملاً إلا باجتماع الصديقين: صدق القلب، وصدق المتابعة الظاهر والباطن.

**ثم أيضاً:** حث على الصبر على أقدار الله الكونية، وعلى شرائع الله وعن نواهي الله فإن الإنسان لا حياة له إلا بالصبر ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].



**ثم أيضًا:** يكون خاشعاً لله عز وجل لعبادته مراقباً له خاشياً إلى غير ذلك، ثم يصوم كما صام النبي صلى الله عليه وسلم ويصبر ويذكر الله كثيراً ويحفظ فرجه: «**أَحْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**»، كذلك النساء تحفظ عورتها وتحفظ نفسها وتحافظ كرامتها وعفتها، فإن الله عز وجل أعزنا بالإسلام وأعزنا بالاستقامة، فمن ابتغى العزة في غير الإسلام أذله الله.

ثم قال الله عز وجل في كتابه من الآيات: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقد جاء في هذه الآية سبب نزول وهي قصة جليبيب.

**وفي الآية:** إشارة إلى المحافظة على ما تقدم بيانه، فالمؤمن والمؤمنة ليس له الخيرة يقول: أأخذ بكذا وأترك كذا، لا نحن عبيد لله والعبد ينبغي أن يكون على مراد سيده لا يجاوز مراد سيده، وإلا كان عاقا وكان آبقاً واستحق البعد بقدر عقوقه.

هذه ملخص على ما تضمنته هذه الآيات البينات وإلا لو استطردنا في شرحها لطال المقام لكننا نشكوا إلى الله عز وجل من قلة العمل، وكثرة الإعراض، وقلة الطاعات، وكثرة المعاصي، وقلة الإنابة، وكثرة البعد.

فالله الله في طاعة الله، والله الله فيما يقربنا إلى الله عز وجل، والله لو الله ما  
 اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فينبغي لنا أن نشكر الله على ما أنعم: ﴿لَيْنُ  
 شَكْرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فمن أعظم ما  
 يُشكر الله عز وجل به: المحافظة على الطاعات، الرجال والنساء جميعاً في  
 لباسهم، في كلامهم، في حركاتهم، في سكناتهم، المرأة مع زوجها، مع جارتها،  
 مع زميلها، مع أختها حفظ اللسان، حفظ الفرج، حفظ كذلك الجسم من  
 عدم خروج زينتها إلى غير ذلك مما أوجب الله، ومما يكرر دائماً في مثل هذه  
 الدروس نسأل الله عز وجل لنا ولكم التوفيق والسداد والحمد لله رب  
 العالمين.